مباحث الألوهية والوحي والنبوة

ـــ بين المسيحية والإسلام ـــ

رزقي بن عومر*

تمهيد:

وقفنا على هذا العمل غير منحصرين في مرحلة زمنية معينة، لغرض تلمس القضية والوقوف على إشكالاتها اللاهوتية والفلسفية بالأساس، لا التحقيق فيها لأن عملا كهذا يقتضي بحثا معمقا في المسألة ليس متيسرا لمثل هذه الدراسة.

لماذا هذه المباحث الثلاثة؟

ارتأينا أن نقف على هذه الأصول لأنها من جهة تشكل أصول العقائد في الإسلام بحيث لا يعتبر مسلما من أنكر واحدة من هذه الأصول بالإضافة إلى أصول أخرى كالمعاد..، ومن جهة أخرى هذه المباحث تشكل في المسيحية موضوع الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس)، ولا يكون مسيحيًّا من لم يؤمن بهذه الأصول وفق ما يقرره قانون الإيمان المسيحي بالإضافة إلى أصول أخرى كالخلاص والفداء. ومن شأن الوقوف على هذه المباحث أن يكشف على طبيعة النقاش العقائدي بين الإسلام والمسيحية، وطبيعة الصراع القائم بينهما وهل هذا

* أستاذ محاضر بقسم الفلسفة، جامعة وهران.

الصراع والخلاف يمكن فكه عقليا بعد أن استحال نصيا، هذا إذا غضضنا الطرف عن التراكم التاريخي والعاطفي الذي تشكل حول نص كل ديانة وفكرها العقائدي، الذي من شأنه أن يمنع اللقاء على رؤية موحدة حول هذه المفردات العقائدية.

طبعًا الغرض من الدراسة هو تحليل هذه المفردات والكشف عنها لا حل الصراع عليها بين الديانتين ومعرفة أي الرؤيتين الصائبة ودليل ذلك، فإن هذا المسار غير مقصود بحثنا هنا. لذلك رأينا من اللازم بحث هذه المفاهيم الثلاثة — المذكورة في العنوان– فقط ضمن المرجع الأصلي لكل ديانة وهو كتابها المقدس، وهما هنا القرآن الكريم بالنسبة لديانة الإسلام والنجيل بالنسبة للمسيحية مستعينين نسبيا ببعض الآراء اللاهوتية والكلامية والفلسفية الموافقة لمنطوق نصوص الديانتين: سواء آيات القرآن الكريم، أو آيات الإنجيل (العهد الجديد)، باعتباره مرجع المسيحية والمشكل الأساسي لقانون الإيمان المسيحي، وفي هذا السياق سنكون مضطرين إلى إدراج بعض البحوث التاريخية لأن العقيدة المسيحية لم تتشكل دفعة واحدة كما كان عليه الإسلام، بل تغيرت على حقبات وكان التغيير يمس جوهر العقيدة لا التصورات عنها، كما عهدناه عند المسلمين من خلال الفرق الكلامية.

- **ملحوظة مهمة:**

دراسة مبحث الألوهية والنبوة والوحي، سوف لن يكون بنحو من التفصيل والتعمق لأن هذا يقتضي إفاضة وهو المتعذر هنا وغير مرادنا من الدراسة هذه، وهو مطلب عزيز لا ننكره، إذ للمدارس الكلامية واللاهوتية ما تقول وبينها من الخلاف ما يستوقف الباحث، وخاصة هذه القضايا الثلاثة، فمثلا قضية الإتحاد بين الناسوت واللاهوت وقد درسنا بعضا من هذا في مقالة سابقة، عندما تناولنا نقد القاضي عبد الجبار المعتزلي للتثليث المسيحي، لدى كل من الفرق المسيحية

الشرقية (النساطرة واليعاقبة والملكانيين)، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام فإن الفرق الكلامية، بينها من الخلاف ما لا يمكن إنكاره ويصل إلى حد التكفير فيما بينها، مثلا قضية الذات والصفات والصراع الذي كان بين المعتزلة والأشاعرة وما انجر عنه من التهمة بالشرك في حق الأشاعرة وتهمة التعطيل والإلحاد في حق المعتزلة، وما يقال عن الألوهية يقال عن النبوة وما تقتضيه من عصمة ووحي وهل العصمة دائمة أم قد تتخلف وما هو مجالها وكذا من تفريعات وما لحقها من أحكام تقضى في حق كل مخالف لأي فريق. غير أننا لا نعني بوجود الاختلاف بين كل هذه المدارس الكلامية فيما بينها واللاهوتية فيما بينها، أو حتى بين المسيحية والإسلام أنه لا اشتراك بينها على الأقل في ساحة كل ديانة.

1. الأصول الثلاثة في المسيحية:

يقابل مباحث الألوهية والنبوة والوحي في المسيحية، الأقانيم الثلاثة وهي جوهر الديانة المسيحية بها تباين ديانة اليهود والإسلام، «والأقنوم جمع أقانيم، هي كلمة يونانية، تعني الأصل أو المبدأ، وكان فلاسفة الإغريق يرجعون وجود العالم إلى أصول ثلاثة، وقد أثرت هذه الفلسفة الإغريقية في تفلسف النصرانية بعقيدة التثليث، إذ أولوا نصوص العقيدة النصرانية على نمط الفلسفة اليونانية في الأقانيم الثلاثة عندهم وهي الوجود والعلم والحياة»[1].

يعتبر الإنجيل مرجع العقائد المسيحية لنقل مصدر قانون الإيمان المسيحي. والإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على السيد المسيح، ولفظة إنجيل تعني فكرة دينية وعقيدة معنوية، موضوعها التبشير بالسعادة الحقيقية، وهذه السعادة الحقيقية موجودة في ملكوت الله الذي سيتقرر تأسيسه في المستقبل. مع العلم أن الإنجيل الذي أنزل على السيد المسيح(ع) لم يكتب منه المسيح عليه السلام سطرا واحدا،

[1] محمد عزت الطهطوي، النصرانية في الميزان، دار القلم، دمشق، ط1، 1995، ص 29.

بحيث لم يخلف بعده نصا بيده أو بإملائه المباشر سواء فيما يختص بملكوت الله أو كلامه الذي خاطب به بني إسرائيل،لأن المسيح لم يكن مكلفا بتأسيس دين جديد، ولهذا السبب فإنه لم يكن لجماعة النصارى من كتاب ملهم رسمي غير كتب اليهود المقدسة العبرانية وهي التوراة وأسفار الأنبياء، وذلك انتظارا لكلام ملكوت الله الذي بشر به المسيح (ع) أنه سيأتي بعده، ولذا كان كتابه الإنجيل أي البشارة وأقدم الكتب عن المسيحية هي أربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وهي عظات المسيح نقلها هؤلاء التلاميذ بعد طول عهد من فقدان ملهمهم السيد المسيح، فهذه العظات بلغها السيد المسيح مشافهة وبلغ مضمونها الحواريون الإثنا عشرة مشافهة كذلك دون أن يكتبوا من ذلك شيئا، فالعالم المسيحي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي، ظل بغير كتاب مسيحي مقدس معتمد وذلك حتى انعقاد المجمع المسكوني في نيقية سنة 325م، بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل، وهناك في نيقية بعد طرد الموحدين تم انتخاب الكتب الأربعة باسم الإنجيل وأضيفت إليها الرسائل المعتمدة حاليا وضموها إلى الكتب الأربعة الأخرى.

يسمى الإنجيل كذلك باسم آخر وهو العهد الجديد، وهو مجموعة مؤلفة من 27 سفرا وضعت كلها باليونانية وأطلق عليها اسم العهد الجديد، وضعت في أواخر القرن الثاني للميلاد، «لقد سيطرت على المسيحيين الأوائل فكرة تناقلتها الألسن شفاها، تعلن انتهاء هذا العالم سريعا، وعودة المسيح ثانية إلى الأرض ليدين الناس، وكان من بين نتائج هذا المعتقد أن توقف التفكير في تأليف كتابات مسيحية تسجل أخبار المسيح وتعاليمه فتأخر لذلك تأليف الأناجيل، إذ لم يشرع في تأليف أقدمها. وهو إنجيل مرقس الذي لم يكن فقط من تلامذة المسيح إلا

بعد بضع عشرات من السنين»[1]، وكان هذا التأخر في كتابة الإنجيل يعزى إلى سبب من وصية كان يرددها السيد المسيح على حسب ما تنقل الإنجيل نفسها إذ يقول لحواريه الإثني عشر الذين أرسلهم يبلغون عنه «إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة... الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» (متى 10: 5 – 23).

أ. بولس الرسول والعقيدة المسيحية:

تعتبر شخصية بولس من الشخصيات الهامة في التراث الديني العقدي المسيحي بحيث يذهب مايكل هارت إلى «أن المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، و إنما أقامها إثنان المسيح وبولس»[2] بل يعد بولس الرسول هو واضع تعاليم المسيح، مع العلم أنه كان الشخصية الأبرز من حيث العداء للمسيحية وللمسيح وتلامذته وكان اسمه "شاؤول"، «كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعا للنقاش وإذا كان قد اعتبر خائنا لفكر المسيح، كما وصفه بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول يعقوب*، فذلك لأنه كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح حوله لنشر تعاليمه»[3].

يتفق العلماء عموما على أن بولس دعا إلى تعاليم تخالف تماما ما جاء به السيد المسيح يقول: «لا تظنوا أني جئت أنقض الناموس أو الأنبياء.

---

[1] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتب المقدس، مكتبة وهبة، ط1، 1987، ص 77.

[2] نقلا عن، أحمد عبد الوهاب، اختلاف في تراجم الكتاب المقدس، ص 100.

* شخصية يعقوب ترد في الكتاب المقدس للنصارى وهو قريب المسيح رئيس الجماعة المسيحية في البداية ثم خلفه بطرس ثم يوحنا.

[3] المصدر نفسه، ص 100.

فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متى: 5: 17 – 19)

لكن بولس نقض هذه الوصايا وعلم الناس إبطال الناموس، فحق عليه أن يبقى أصغر في ملكوت السماوات «جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة. قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة» (غلاطية 3: 10 /5: 4). وهذا النوع من التغيير في تعاليم الإنجيل هو من أجل بث عقيدة جديدة في الإيمان والتي سيتم إقرارها في مجمع نيقية، وهي فكرة الخلاص وكفاية الإيمان عن العمل، وبالتالي التحلل من الشريعة، فالمسيح في الأناجيل دعو إلى العمل وبين أن الإيمان وحده لا يكفي، وفي هذا تقول موعظته: «كل من يأتي إلي ويسمع كلامي ويعمل به... يشبه أنسانا بنى بيتا وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر، فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يزعزعه لأنه كان مؤسسا على الصخر.

وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه إنسانا بنى بيته على الأرض من دون أساس فصدمه النهر فسقط حالا، وكان خراب ذلك البيت عظيما» (لوقا: 6: 47 – 49).

يقول يعقوب أحد حواريي المسيح في رسالته: «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد أن له إيمانا ولكن ليس له أعمال هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟

هكذا الإيمان أيضا، إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته.

أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون.

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت» (يعقوب 2: 14 – 24).

بينما بولس خالف هذه التعاليم ودعا إلى فصل الإيمان عن العمل وأن العمل عبث، ففي رسالته إلى أهل غلاطية يقول: «نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح أن يتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس» (غلاطية 2: 16).

هذه الأمور التي استحدثها بولس تساعدنا على فهم الانحراف الذي وقع في العقيدة المسيحية وكان المباشر لهذه العملية بولس نفسه، ووافق هذا الأمر أن جاءت سلطة رومانية ترسم هذه المعتقدات على حساب المعتقدات الحقة التي بثتها الأناجيل ورسائل الرسل الشرعيين بعد المسيح كما تشير إلى ذلك الدراسات التي حققت في التراث المسيحي.

«فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنساني أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس»[1]. لذلك يعد شريكا للمسيح في بناء الفكر الديني المسيحي، بل إن بولس هو الذي جعل المسيح إلها ووضع بذرة الحديث عن لاهوت وناسوت المسيح، وما شاكل ذلك من أفكار هللينية الممزوجة بأساطير الإغريق والديانات السرية وذلك في رسائله التي كتبت وذاعت قبل كتابة أقدم الأناجيل بأكثر من عشرين عاما إذ قال بولس: "المسيح... الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد» (رومية 9:5).

«فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا» (كولوسي 2: 9).

يقول تشارلز دود: «إن الرسائل (البولسية) كثيرا ما تعارض الأناجيل»[2].

[1] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص 100.

[2] أحمد عبد الوهاب، اختلاف في تراجم الكتاب المقدس، ص 92.

ب. مجمع نيقية وإقرار العقائد:

في سنة 325 للميلاد انعقد مجمع الأساقفة المسيحيين لكي يجمعوا أمر أتباع المسيحية على رأي موحد حول المسيح والدين المسيحي بعد أن تشعبت الآراء والتصورات بل تناقضت بين توحيد وتثليث، وكان هذا الأمر في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين أغوسطينيوس حضر هذا المجمع 2048 أسقفا، فيهم ثلثان موحدون يتزعمهم أسقف نيقوميديا أو الإسكندرية آريوس وثلث من الأساقفة يعتقدون التثليث و يرون أن المسيح إله تام متحد الجوهر مع الله، يتزعمهم آثاناسيوس من نصارى الإسكندرية، انتهى الأمر إلى إقرار التثليث من ذلك الوقت وأعلن قانون الإيمان المسيحي المعتمد حاليا في الكنائس المسيحية كلها، رجحت كفة التثليث لأن الإمبراطور تبنى رأي مواطنه بابا روما الذي مال مع آثاناسيوس.

طرد من المؤتمر أكثر من 700 أسقفا موحدا. وقتل بعضهم وعلى رأسهم آريوس. وتحققت نبوءة المسيح الواردة في إنجيل يوحنا "سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيعملون هذا بكم لأنهم لا يعرفوا الأب ولا يعرفوني" (يوحنا 16: 2 – 3).

بعدها كون قسطنطين مجمعا من 328 أسقفا ممن يؤيدون ألوهية المسيح ووقعوا على وثيقة عقيدة نيقية والمسماة قانون الإيمان المسيحي.

على أن المسيحية المتأخرة وبعد التحقيقات في النصوص والتراث الديني المسيحي بدأت تخرج منها بعض الأصوات المعترفة بتغير مسارا لعقيدة المسيحية، فمثلا في دائرة المعارف الأمريكية لسنة 1959م ورد "لقد بدأت عقيدة التوحيد — كحركة لاهوتية — بداية مبكرة جدا في التاريخ. وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ... إن الطريق الذي سار من أورشليم

(مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) إلى نيقية (حيث عقد المجمع المسكوني الأول عام 325م لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة) من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي. لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول، فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك، انحرافا عن هذا التعليم. ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص...

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد، بدلا من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث.

إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد ترتليان (200م) الذي كان أول من أدخل تعبير التثليث في التفكير المسيحي، مسؤولا عن الفقرة التي تقول: «أن في أيامه كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنسانا»[1] هذه تصريحات رسمية تكشف عن تاريخية العقيدة المسيحية الحالية التي شرعت بمرسوم واتفاق مما يجعلها لا ترقى إلى مستوى الاعتقاد، ذلك أن دافعها مصلحة اجتماعية سياسية لا مبدأ وجوديا يكشف عنه بأدوات معرفية نبوية أو عقلية. من الجدير التنبيه له أن قانون الإيمان المسيحي يحدد دلالة المفاهيم المطروحة للبحث بشكل يختلف عنه إذا تعاملنا معها وفق التوحيد المسيحي المعتمد لدى المسيحية الأولى.

- **الألوهية:**

يخضع تصور الألوهية في الديانة المسيحية إلى اضطراب يترك الفراغ لتأويل المعنى على وجه الاحتمال، نعم هو واحد – وبهذا الإقرار لا تخرج المسيحية عن ديانات التوحيد الكبرى كاليهودية والإسلام – غير أن التوحيد هو بنحو عددي

[1] نقلا عن أحمد عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 104.

يفتح مجال امام التركيب، فهو واحد وثلاثة في الوقت نفسه، هذا بالنسبة للمسيحية التي أقرها مجمع نيقيا، أما العقيدة التي كان عليها آريوس فهي التي أقرت بالتوحيد الحقيقي الذي يجعل من الإله واحدا أحدا، هو الأزلي وحده، وان الابن ليس أزليا، ولكنه خلق من خلق الله أوجده الله من العدم كان آريوس وجماعته يقولون: «الله، الواحد الأحد، القائم وحده، هو الوحيد الذي لم يولد، ليس له بداية أو نهاية لا يمكن إدراكه أو التعبير عنه، وليس له معادل أو مكافئ على الإطلاق»[1]. في الصيغة إقرار بالوحدانية المطلقة التي لا تقيدها ماهية ما، وهي المعبر عنها في الفلسفة بالوحدة الحقيقة أو الوحدة غير العددية؛ الواحد الذي لا يقبل الثاني في حين ا،العقيدة المسيحية مع مجمع نيقية أو تعاليم بولس تشذ عن هذا المسار، فالصيغة التي أقرها مجمع نيقية والتي فرضها لإسكندر تقول: دائما إله، دائما إبن وفي نفس الوقت أب، وفي نفس الوقت ابن، الابن أزلي غير مخلوق، قد يقبل من هذه الصيغة أزلية المسيح وكونه غير مخلوق لأن هذا لا يتعارض مع التوحيد الحق ولأن الأزلية هي اعتبار زمني ولا علاقة له بالذات الإلهية كذات بمعنى لا يخل بالإطلاق الثابت للإله، لكن أن يكون للإله مرتبتين مختلفتين بشخصين مختلفين وهما واحد هذا ما يتعارض مع الوحدة الحقة الحقيقية، الثابتة له.

- **أبوة الإله في المسيحية:**

الأبوة في المسيحية تؤخذ بنحوين، فإما تفهم بنحو الخالق وهنا يصبح الإله أبا للكل ولا خصوصية للمسيح في ذلك وبالتالي كل الناس أبناؤه أو على الأقل لا ينفرد السيد المسيح بالبنوة له، فقد ورد في التوراة وصف الله بلفظ الأب مثلا في سفر أشعيا ورد «والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت عاملنا و كلنا عمل يديك» (أشعيا 64: 8) فأبوة الإله هي بمعنى الصنع أي الخلق، فكذلك الأب في

[1] أحمد عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 106.

السريانية يعني الله وهي اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها السيد المسيح. والمعنى اللغوي الدقيق للفظ آب هو إعطاء الشيء أي إيجاده لكن الكنيسة في مفهومها عن المسيح فسرت لفظ الآب بمعنى أن له إبنا وحيدا فاستعاضت عنه لفظ الوالد بدل الأب وفق التداول اللغوي في اللغة الآرامية، لغة المسيح (ع) ،الذي كان يعني خالق الكائنات أو مكون الموجودات، وفرق بين الإيجاد والولادة، لأن الولادة يراعى فيها التجانس في المرتبة بين الوالد والمولود حتى وإن كان هناك سابق ولاحق علة ومعلول، بينما الإيجاد فيه تمايز في طرفيه المتضايفين بالرتبة واجد وموجود، «الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه» (مرقس 13: 30 – 31).

في مسيحية قانون الإيمان المسيحي الله واحد في الجوهر له ثلاث أقانيم هو الآب (الوجود) والإبن (العلم) والروح القدس(الحياة) يقول القديس غريغوريوس الثيولوغوس: «ذا نظرنا إلى الذات الإلهية بمعنى الأبوة والوجود كان اقنوم الآب هو الإله، وإذا نظرنا إلى الذات الإلهية بمعنى العقل النطق كان أقنوم الابن هو الإله، وإذا نظرنا إلى الذات الإلهية بمعنى الحياة كان أقنوم الروح القدس هو الإله، فكل واحد من الخواص الثلاثة أعني الأقانيم الثلاثة هو الله ولا يلزمنا القول بثلاثة آلهة إذا كانت الذات واحدة»[1]. إذن فالتعامل مع الإله في إطار فلسفة الأقانيم الثلاثة لا يميز الذات الإلهية عن مرتبة الخلق، ويمنعها من أهم صفة كمال وهي الفردانية والقهارية بحيث يقتسم المرتبة مع ذوات أخرى، وأي معنى يمكن تحميله للأبوة سواء الروحانية وهو المعنى الذي تختاره الكنيسة حتى تضفي طابعا روحانيا للعلاقة بين المسيح والله أو بمعنى الولادة المادية فهي سواء، لأن المشكلة تكمن في تنزيه ذات الإله في الوحدة بأن تكون له وحدة مطلقة، لا عددية.

[1] جورج بولس ،التوحيد والتثليث، درس ألقي في كنيسة السيدة العذراء والقديس مارجرجس، مدينة الشروق (د. ط ود.ت).

فمثلا قرار الفاتيكان سنة 1929 يقرر الألوهية على النحو التالي: «أن الله (الآب) هو الأقنوم الأول في اللاهوت، في رتبة الوظيفة والعمل، وأنه بكيفية لا تدرك، وهو الأب للابن الوحيد بالولادة الأزلية، وأن منه ومن الأب ينبثق الروح القدس، وأنه في وحدة وشراكة متبادلتين مع الابن والروح القدس، وأنه المبدع الأصلي في الخلق والفداء»[1]، لا حل للمشكلة وبالتالي يظل الإله بالطرح اللاهوتي الرسمي للمسيحية، في حاجة لشراكة لكي يظهر بكماله الكلي فهو لا يخلو من التركيب وذلك ما يتعارض مع الغنى والتعالي المطلق، فلا يكفي الأزلية والصنع في التعبير عن الكمال المطلق ما لم يتميز في الحقيقة عن كل ما سواه فإما أن تكون الأقانيم هي هو أو لا هو والأول يبطل كينونتها بالنظر إلى الوحدانية والثانية تجعل من الأقانيم غير والغير إذا ما لوحظ فيه علاقته بالإله فهو فقير ولا شراكة له للإله بما هو كذلك.

- **الوحي:**

الوحي في اللغة من وحى إليه، وحيا بمعنى أشار وأومأ وكلمه بكلام يخفى على غيره، فالوحي بمعنى الإشارة، والكتاب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي[2]، المعنى الذي يجمع حوله أهل اللغة فيما يخص الوحي هو الإعلام في خفاء، فالأصل في الوحي الخفاء بحيث يخفى على الغير. وفي الاصطلاح حسب ما ورد في دائرة المعارف البريطانية «يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الإنسان تحت التأثير الإلهي المباشر، ويعني الوحي تجرد الإنسان ليكون في قبضة الإله، بحيث يصير هذا الإنسان هو الطريق أو القناة التي يسري

[1] دستور الكنيسة الإنجيلية، نقلا عن عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، العبادات في الأديان السماوية، الأوائل، دمشق، ط1، 2001، ص 151.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف الحديثة، تحقيق عبد الله علي الكبير. ج 53، ص 4787.

فيها وحي الله من كلام ومشيئة»[1]. هنا الإنسان يصبح القناة التي ينزل فيها المر الإلهي كلاما يشعر به في نفسه يعلمه من الله أو إذن بفعل معين يقوم بنحو خارق كما حدث مع المسيح من إحياء للموتى.

تعترف المسيحية بطرق الوحي التي وردت في العهد القديم وهي كالتالي:

أولا: كلام الله إلى الأنبياء. ويكون بسماع صوت الرب بصفة حسية ومباشرة ويصل هذا الوحي عن طريق شخص منظور يكون ملاكا أو في صورة إنسان وقد يكون الشخص هو الرب نفسه.

ثانيا: الرؤى والأحلام، في العهد القديم الرؤيا هي الصفة الغالبة للأنبياء.

ثالثا: الوحي عن طريق الملائكة، كان الوحي يصل إلى الأنبياء كذلك عن طريق أشخاص منظورين وهم الملائكة في صور بشرية تخاطب البشر. وهناك طرق أخرى كان يسمع الصوت ولا يرى الشخص...

وتضيف طريقا جديدا لم يكن من قبل وهو طريق خاص بالمسيح باعتباره ابن الله الوحيد حسب اعتقاد المسيحية "النيقيوية"ففي الرسالة إلى العبرانيين من العهد الجديد: «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء» (الرسالة إلى العبرانيين1: 1-2). هذه الطريق تكون بحلول روح الله على العبد فتتغير حالته بطبيعته فيتكلم بالوحي "وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أعمال الرسل 2:4- 5) فالروح هنا قد حل في تلاميذ المسيح فأصابتهم حالة الوحي.

[1] نقلا عن أحمد عبد الوهاب، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط، 1979، ص 35.

خلاصة الكلام في الوحي أنه الإنباء بنحو روحاني فيه يتلقى النبي أو العبد الصالح كلاما يسمعه أو يحل فيه بحيث يكون هو الناطق بغير اختيار منه أو شعور، فحتى الوحي لم ينفك عن السياق العام للطرح العقائدي الذي يجعل من الإله ينصبغ بصبغة محسوسة من جهة تبني المسيحية لمفاهيم العهد القديم، وأضافت مفهوم الوحي على سبيل الحلول والسريان.وهذا إيغال في التشبيه والنزول في المرتبة للإله.

- **النبوة:**

تعرف النبوة في الديانة المسيحية بأنها «معرفة الحوادث المستقبلية والاختيارية والأخبار السابق الأكيد بها وهي أعجوبة عقلية»[1]. فالنبي هو من يحصل على الأخبار بنحو يقيني وصحيح لكن بغير الطرق الكسبية حيث لا طريق للعقل إليها، لذلك جاء في التعريف أنها 'عجوبة عقلية، إذ يلاحظ فيها تدخل الغيب بشكل مباشر. وهي تشمل كل الأنبياء السابقين على المسيح ويستثنى المسيح منها لأنه ليس بنبي بل هو الإبن الوحيد للرب.

أما الرسول فـ «هو المبعوث وهو الشخص الذي يرسل في مهمة خاصة» (لوقا 6: 13).

فلفظ المرسل يشمل المسيح (ع) وتلامذته الإثني عشر وهم الحواريون "ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن ن يهلك نبي خارج أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين: (لوقا 13: 33) فالفرق بين النبوة والرسالة هنا هو في الفارق بين التلقي والتبليغ ، وهنا نلمس تغيرا في التعامل مع النبوة والرسالة في المسيحية بين كتب الإنجيل القديمة وما جاء بعد تقرير قانون الإيمان المسيحي في مجمع نيقية، ففي الحالة الأولى تؤكد النصوص على المعنى

[1] قاموس الكتاب المقدس، نقلا عن، عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، المصدر السابق، ص 151.

الموافق للمعنى الذي تعطيه الديانات السماوية للنبوة والرسالة مع فارق له علاقة بتصور الألوهية من حيث التنزيه والتشبيه بين دياينات اليهودية والمسيحية من جهة وديانة الإسلام من جهة أخرى، لكن بعد مجمع نيقية رفعت النبوة عن المسيح كما الرسالة بالمعنى الذي خلع على بقية الأنبياء و الرسل.

2. الأصول الثلاثة في الإسلام:

ذكرنا فيما سبق أن الأصول الثلاثة تحدد انتماء الإنسان وتعطيه صفة المسلم إذا اعتقد بها على وفق التحديد الإسلامي، وهذا التحديد يمكن الكشف عنه بغير جهد جهيد من ظاهر منطوق القرآن الكريم، ففي القرآن الكريم بيان لهذه المفاهيم ورد على التصورات المنحرفة لها والتي سبقت في الدينين السابقين للإسلام، وهما اليهودية والمسيحية.

أ. الألوهية:

يعتبر القرآن الكريم أن وجود الله لاشك فيه ويقدم الأدلة على ذلك، والعمدة في الأدلة الدليل الفطري الذي لا يحتاج إلى تعلم وتحصيل، بل يجعل الإسلام معرفة الله والإذعان لوجوده مسألة لا تخضع للتقليد ولا يحق التقليد فيها،إلا أن يعتقد فيها بدليل يحصله المعتقد نفسه بما أوتي من ملكة التفكير، ومن لم يفعل فهو مكابر.

يهمنا من المسألة ما اهتم به القرآن الكريم وهو التوحيد، إذ جعل عنوان الانتماء وأول أصل عقائدي في الإسلام، فالله تعالى واحد بمعنى أنه من الوجود بحيث لا يحد بحد حتى يمكن فرض ثاني له فيما وراء ذلك الحد وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص). فإن استعمال لفظ الأحد يدفع إمكان تصور العدد في حقه تعالى يقال ما جاءني أحد ينفي بأن يكون قد جاءه الواحد وكذا الاثنان والأكثر.

فاستعمال لفظ الأحد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص، الآية 1) في الإثبات من غير نفي ولا تقييد بإضافة أو وصف يفد أن هويته تعالى بحيث يستبعد المماثلة له في هويته بوجه سواء كان واحدا أو كثيرا . قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الصافات، الآية 159-160) فإن المعاني الكمالية التي نصفه بها أوصاف محدودة، جلت ساحته سبحانه أن تحد أو تقيد، وهو الذي يقصده النبي ﷺ في كلمته المشهورة «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وهذا النوع من التوحيد هو الذي يدفع به تثليث النصارى فإنهم موحدون في غين التثليث لكن الذي يذعنون به من الوحدة وحدة عددية لا تنفي الكثرة فإنهم يقولون أن الأقانيم (الأب و الابن و الروح القدس) بمعنى (الوجود والعلم والحياة) ثلاثة وهي واحد، كالإنسان الحي العالم فهو شيء واحد لأنه إنسان حي عالم وهو ثلاثة ظلنه إنسان وحياة وعلم.

لكن التعليم القرأني ينفي ذلك لأنه يثبت من الوحدة ما لا يستقيم معه فرض أي كثرة وتمايز لا في الذات ولا في الصفات و لا في الأفعال، وكل ما فرض من شيء في هذا الباب كان عين الآخر لعدم الحد فذاته تعالى غين صفاته، وكل صفة مفروضة له هي عين الأخرى تعالى الله عما يشركون و سبحانه عما يصفون.

لذلك الآيات التي تنعته بالقهارية تبدأ أولا بنعت الوحدة ثم تصفه بالقهارية لتدل على أن وحدته لا تدع مجالا لفرض الثاني المماثل بأي وجه من الوجوه فضلا عن أن يكون موجودا قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف، من الآية 40).

الذي يميز دين الإسلام في طرحه للذات الإلهية هو صيغة التوحيد المانعة عن توهم الثاني له وهو الذي جعل القرآن يكشف ثغرات توحيد النصارى وتوحيد

اليهودون وهذه الصيغة تكمن في إثبات الأحدية لله تعالى، وهذا أهم توصيف يسهل التعامل مع الصفات الإلهية، وحتى تفسير القرب منه بحيث لو اقترب منه أي كان فيضل مقهورا مهما كان هذا القريب، ولعل توصيف أقرب موجود له وهو النبي ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» يحكي عن هذا الإحكام في توحيد الله، فطبيعة الوحدانية تنفي العددية، فهو الواحد المطلق وهو الأحد بحيث لا يمكن تصور التركيب في ساحته تعالى.

ب. الوحي:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾ (سورة الشورى، الآية 51).

إذا لم تكن واسطة بين الله تعالى ومن يكلمه من حجاب وهو كسب العبد من فكر وتعقل أو إحساس فذاك هو المقصود به الوحي والموحى إليه لا يجد مكلما له إلا الله ولا يجد كلاما إلا كلام الله، وهذا حال النبي أو الرسول في أول ما يوحى إليه بالنبوة والرسالة لا يختلجه شك في أن الذي يوحي إليه هو الله تعالى من غير أن يحتاج إلى إعمال فكر أو نظر، أو طلب دليل أو حجة ولو اضطر إليها لما كان الذي وصله وحي بل اكتساب بواسطة حجاب هو القوة النظرية.

ج. النبوة:

يستدل على النبوة عقلا في الفكر الإسلامي انطلاقا من ضرورتها والوجه الذي به يبرر وجودها، وينحصر وجه الحاجة إليها، في ما تقتضيه الطبيعة الإنسانية من الاختلاف المانع لها من تحصيل السعادة والوصول إلى الكمال اللائق بالإنسان بما هو كذلك، فالطبيعة الإنسانية قاصرة عن تدارك ما أعدت له أو إصلاح ما أفسدته، فالإصلاح لا يكون إلا من جهة غير جهة الطبيعة، وهي الجهة الإلهية التي هي النبوة بالوحي، ولذا عبر تعالى عن قيام الأنبياء (ع) بهذا

الإصلاح ورفع الاختلاف بالبعث ولم ينسبه في القرآن الكريم كله إلا إلى نفسه تعالى، مع أن قيام الأنبياء كسائر الأمور له ارتباطات بالمادة والروابط الزماني والمكانية.

قال نصير الدين الطوسي: «ضرورة وجود الأنبياء لتكميل الأشخاص بالعقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، والأفعال المحمودة النافعة لهم في عاجلهم وآجلهم، وتكميل النوع باجتماعهم على الخير والفضيلة، وتساعدهم في الأمور الدينية سياسة الخارجين عن جادة الخير والصلاح»[1].

فالنبوة حالة إلهية أو غيبية نسبتها إلى الحالة العامة من الإدراك نسبة اليقظة إلى النوم، بها يدرك الإنسان المعارف التي تخرجه من طور النقص والاختلاف والتناقض، وهذا التلقي من الغيب هو المسمى في القرآن الكريم بالوحي والحالة التي يتخذها الإنسان منه لنفسه بالنبوة.

والنبوة من حيث الطبيعة "مختصة بقوة قدسية تذعن لها غريزة العالم الأكبر فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات، ولا تصدأ مرآتها، ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله إلى عامة الخلق[2].

معنى النبي حامل النبأ ومعنى الرسول حامل الرسالة ومبلغها، وللرسول شرف الوساطة بين الله تعالى وبين خلقه، وللنبي شرف العلم بالله وبما عنده.

وقيل الفرق بين النبي والرسول لأن الرسول يبعث فيؤمر بالتبليغ ويحمل الرسالة، أما النبي فيبعث سواء أمر بالتبليغ أو لم يؤمر. وعلى هذا فالنبي هو الذي يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما اقتضته عناية الله من

[1] محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، دار النفائس، ط، 1991، ص 362 – 363.
[2] المصدر نفسه، ص 365 .

هداية الناس إلى سعادتهم، فالرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إتمام حجة يستتبع مخالفته هلاكه أو عذابه أو نحو ذلك.

خاتمــة:

فى الأخير بعد هذه الدراسة المتواضعة نستنتج أنه من خلال هذه الأصول المذكورة أعلاه نستطيع أن نقف على جوه الخلاف بين المسيحية والإسلام، رغم وجه الإشتراك بينهما في ذلك، ففي الألوهية نلمس الإقرار بالتوحيد في الديانتين مع فارق في طبيعة هذه الوحدانية، وفي النبوة كذلك إجماع لدى الديانتين بضرورة النبوة والرسالة، وخصائصها لديهما مشتركة باعتبارها من دون توسط بين الله والنبي أو الرسول، إلا أن المسيحية بعد مجمع نيقية رفعت عن المسيح النبوة والرسالة لأنها أصبغت عليه صبغة اللاهوت. وهناك ملاحظة تستوقف الباحث خاصة فيما يتعلق جانب العقائد لدى المسيحية وهي خضوع العقيدة لقرار سياسي ولإجماع بينما العقائد المفروض أنها تحكي مبادئ وجودية يكشف عنها لا صيغ تحقق توافقا يضمن وحدة تصور بغض النظر عن كونه باطلاً أو حقًا.